4 st International Congress of Social Science, Innovation & Educational Technologies

Approaches to the Descriptive Analytical Method in Linguistics

Doç.Dr. Ahmed ALDYAB
Ankara Yıldırım Beyazıt Üniversitesi/Türkiye

Abstract

There have been many methods that tried to approximate the understanding of language in man and how it was acquired and developed, and these methods looked at the language from multiple angles, some looked at the language in terms of analysis, some looked in terms of description, and some looked at the language in terms of its relationship to man, and the results of these approaches were separate. Sometimes separated from each other and sometimes united by some points. For example, there was the school of structuralism that looked at language in terms of language and did not look at the relationship of language to society or man, but rather looked at language in terms of its structure independent of the relationship of language to the outside world, and there was the school of history that looked at language through its historical development, and some schools came that tried to find a relationship between language and society. This research comes to put his hand on one of these approaches, which is the descriptive analytical approach, indicating its most important approaches and schools.

Keywords: Language, Analytical method, Linguistics, Linguistics schools, Relationship.

المقدمة:

إن مصطلح المنهج الوصفي واسع من حيث الأدوات والوسائل والمناهج المتبعة في دراسة اللغة، وقد شكلت أفكار سوسير أساس هذا المنهج وأساس علم اللغة الحديث على اعتبار أن دراسة هذا النظام هو الخطوة الأولى في البحث اللغوي وقد استفادت الدارسات اللاحقة من أفكار وبذور المنهج الوصفي، فقد كان لنتائجها أثار واضحة في جهود المدرسة التحويلية التوليدية اللغوية التي قادها اللغوي الكبير نعوم تشومسكي، ولانبالغ إذا قلنا إن المنهج العلمي للغة استمد مقوماته من المنهج الوصفي. إن المتتبع لمناهج الدراسات اللغوية الحديثة يجد أن نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر شكلت حداً فاصلاً بين فترتين وزمنين من الدراسات اللغوية والتي سادت خصوصاً في أفكار اللغويين الأوروبيين والأمريكيين، وبدأت هذه الدراسات في البحث عن أساس اللغة ونشأتها فافترض العلماء كثيراً من النظريات التي ربما أصابت أو لم تصب.[1] وقد اتخذ هؤلاء العلماء من اللغتين اليونانية واللاتينية نقطة ارتكاز في أبحاثهم مشيرين إلى مركزية هاتين اللغتين في البحث عن أساس اللغة ونشأتها وانشغل بعض المفكرين اللغويين بالمقارنات بين اللغات على أمل أن يصل إلى نتائج

[1] علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، ص46

تؤكد فرضياتهم فنظروا إلى اللغة الواحدة وأخذوا يقارنونها بنظامها الصوتي والقواعدي والكتابي والصرفي مستندين في ذلك إلى الزمن كنقطة أولى ثم تطورت هذه المقارنات ليجدوا فواصل وقواسم مشتركة مع بعض اللغات، فأخذوا يفترضون ويحللون ويستنبطون النتائج في أمل إرجاع جميع اللغات إلى أصل واحد. وقد انصرف بعض اللغويين إلى إبراز فضائل لغته على اللغات الأخرى مظهراً إيجابياتها من ناحية ومن جهة أخرى راجماً اللغات الأخرى بالسلبيات الجمة، فأخذوا يتكلمون عن مرونة لغتهم وتصلب اللغات الأخرى وغزارة لغتهم من حيث المفرادات والتنوع الكلامي وضيق اللغات الأخرى. وفي الحقيقة كان لكثير من هذه الدراسات آثار علمية وسّعت فيما بعد أساليب الدراسات اللغوية وتطورها.

أولاً: أسس المنهج الوصفي

يعتبر فردينان دي سوسير المؤسس الحقيقي للمنهج الوصفي، وقد جاءت دراساته رداً على المنهج الذي كان متبعاً في دراسة اللغة وهو المنهج التاريخي الذي كان ينظر إلى البحث اللغوي من ناحية زمنية وتاريخية فيدرس المسائل اللغوية في فترة من الزمن ويقوم بمقارنتها بفترات أخرى، فجاء المنهج الوصفي ليدرس النواحي اللغوية بمعزل عن الزمن أي ينظر إلى المادة اللغوية بما تحويها من مقومات وعناصر ويحاول أن يبعد نفسه عن التعليل قدر الإمكان فيترك للقارئ بعد وصف الظواهر اللغوية التدخل وإبداء رأيه وكأن هذا المنهج يجهز البحث اللغوي لمن سيأتي بعده.[2] وبالفعل فقد وجّه سوسير بدراساته اللغوية أنظار اللغويين في الغرب إلى المنهج الوصفي وفتح لهم الطريق ليرموا سهامهم في هذا المجال. وقد تشعّب هذا المنهج وتنوعت أفكار باحثيه، لكنهم كانوا يستندون في ذلك إلى أسس عامة مخطوطة لهم وفق الأفكار العامة للمنهج الوصفي، وأهم هذه الأسس:

1- أساس الزمان

هذا الأساس من أهم شروط المنهج الوصفي، فكل عينة مأخوذة يجب أن تقيد ببداية ونهاية زمنية على اعتبار أن الظاهرة اللغوية دائمة التغيير والتبديل، فإذا أردنا مثلاً دراسة لغة من اللغات فإننا يجب أن نحدد في أي فترة زمنية، فإذا أخذنا عينة من اللغة العربية في فترة العصر الجاهلي أو الإسلامي، فبالطبع نتائج هذه العينة لا يمكن أن تنطبق على اللغة العربية في العصر الحديث، فاللغة دائمة التغير وهي تحكم بالأشخاص الذين يتكلمونها في فترة من الزمن، فكما أن الإنسان عاش في العصور القديمة أو الوسطى وبدون أدنى شك تختلف أفكاره ومشاعره ويختلف منطقه وهذا ما أكد عليه كثير من الكتاب يقول ابن فارس:" كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم ونسائهم، فلما جاء الله سبحانه وتعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضيع إلى مواضيع أخرى".[3] والمطلع على المعجم الغوي الجاهلي والمعجم في صدر الإسلام وما بعده يرى الفرق واضحاً في ذلك، فقد مالت

[2] دراسات علم اللغة الوصفي والتاريخي، ص82
[3] الصاحبي في فقه اللغة، ص142

الألفاظ إلى الرقة وأخذت تتغير يوماً بعد يوم حتى وصلت إلى وقتنا الحالي. ونحن اليوم لا يمكن أن نقارن الألفاظ في أيامنا مع الألفاظ التي كانت سائدة في العصر الجاهلي ولذلك فمسألة الزمن تعلب دوراً مهماً في دراسات المنهج الوصفي.

2- أساس المكان

تحديد المكان شرط أساسي لدراسات الوصفيين، فالمنهج الوصفي يرى أن الظاهرة اللغوية تكتسب شيئاً من قدسية المكان فتنشأ علاقة بين الظواهر اللغوية والمكان بمحدداته وأبعاده المختلفة، فالظاهرة اللغوية تحيا في بيئة معينة وبعد ذلك تتطور مع تطور المكان وحيثياته. ولو رجعنا قليلاً إلى الوراء وبالتحديد إلى العصر العباسي لوجدنا أن الوضعيين على حق، فقد كان للمكان أثر واضح على العلاقة اللغوية، فلغة الحضر كانت تختلف تماماً عن لغة البدو، هذا من جهة اللغة الواحدة والمجتمع الواحد، فكيف إذا أردنا أن نجمع الدراسة بين لغتين مختلفتين ومكانين مختلفين أيضاً. وفي الحقيقة هذا أساس مهم في الدراسات اللغوية عموماً، فمن غير المنطقي عند دراسات إحدى الظواهر اللغوية عدم تقيدها بمكان محدد وإلا ستكون النتائج غير واضحة وملتبسة ببعضها، وهذا يقودنا للحديث عن ظاهرة اللهجات التي تتغير داخل البقعة المكانية الواحدة من منطقة إلى منطقة. وكلنا نعرف أن اللهجات وثيقة الصلة بالمكان الذي تُتحدث فيه، فمثلاً لو أخذنا مثالاً على ذلك اللغة العربية في بلاد الشام لوجدنا أنها تحتوي على العديد من اللهجات التي تكون شديدة الاختلاف فيما بينها أحياناً وهذا على مستوى البقعة الواحدة، ولو أردنا أن نوسع الدائرة قليلاً وعقدنا دراسة بين لهجات بلاد الشام ولهجات المغرب العربي لوجدنا أنفسنا داخل دائرة كبيرة جداً تتقاطع فيها المحاور والأوتار تقاطعاً شديداً وحتى أننا نستطيع أن نقول إن بعض لهجات المغرب العربي تشكل لغة خاصة بها.

3- أساس المستوى

ما المقصود بأساس المستوى؟ المقصود بهذا الأساس الطبقة الاجتماعية التي تستخدم اللغة، فكل مجتمع يحتوي على طبقات متفاوتة في الثقافة والتعليم ومتفاوتة في الخبرات والمكتسبات اللغوية، والمقصود بهذا الأساس أيضاً أن للغة مستويات محددة، فمثلاً لغة الأدب تختلف عن لغة الصحافة، ولغة العامي تختلف عن لغة المثقف، فلكل لغة مستويات تدور في فلكها ويحدد هذه المستويات الطبقات الاجتماعية التي تستعمل فيها ومن جهة أخرى تتحدد وفق خبرات الكاتب التي يقوم بكتابة عمل أدبي ما، فالكاتب ممكن أن يستخدم في عمله الأدبي شخصيات وفق ما يريد ويلبسها ثوباً وفق طبقة معينة، فهو يقوم بتمثيل العناصر الدلالية في المجتمع من خلال عمله الأدبي ولذلك بات كثير من الكتاب يضمنون أعمالهم الأدبية مستويات مختلفة من اللغة، فأصبحنا نرى داخل الرواية اللغة العامية واللغة الفصحى وذلك وفق محددات الشخصيات التي تتكلم، ومن جهة أخرى يركز كثير من الكتاب على دراسة نوع أو محدد من

محددات العمل الأدبي، كأن يدرس السرد في القصة أو الرواية أو يبحث موضوع الحوار في المسرحية،[4] أو يمكن أن يتجه إلى دراسة عناصر اللهجة العامية في جزء من مكان ما. وموضوع المستويات اللغوية دخلت إلى حقول كثيرة منها تعليم اللغات للأجانب، وموضوع السرد الروائي والدلالة وتحليل الخطاب. ومن هنا فبحسب المنهج الوصفي كلما كان الزمن محدوداً والمكان ضيقاً والمستوى دقيقاً كانت النتائج المستخلصة قريبة من الصدق والثبات.

ثانياً : مدارس المنهج الوصفي واتجاهاتها

إن ظهور المنهج الوصفي في بدايته كان ضيق الأفق نوعاً ما، فقد التزم بقواعد صارمة ولكن مالبث أن تخلى عن بعضها نتيجة للأفكار الجديدة التي دخلت عليه، فالمنهج الوصفي بدأ بسمات تحمل وصف اللغة وفق مستوياتها المتباينة وعناصرها المتعددة إلا أنه تشعّب وتفرّع فيما بعد إلى وجهات وطرائق مختلفة وأصبحت هذه الطرق فيما بعد مدارس مستقلة بذاتها وبعضها ضيق الأفق متأثراً بالأصول الأولية لهذا المنهج [5]. ومع بداية القرن العشرين بدأ المنهج الوصفي يأخذ أشكالاً متعددة متفرعاً بذلك إلى مدارس تعتمد على بعضها وتستفيد من تجاربها إلا أننا نلمح من هذه المدارس بعضها التي كان لها نصيب في بث الروح في هذا المنهج ومنها:

- المدرسة البنيوية:

كما هو معروف أن مؤسس أفكار هذه المدرسة هو السويسري فرديناند دوسوسير، طبعاً هذا العالم بدأ مشواره اللغوي بفلسفة الدلالة اللغوية، وقد تجلت أفكاره في هذه المدرسة من خلال تحديد المادة المدروسة والخروج من التعميم إلى التخصيص، لكن أهم ما يميز أفكاره هنا هو عملية الفصل بين الكلام واللسان بعد أن درج بعض اللغويين على عدهما مفهوماً واحداً، فالكلام كما يصفه سوسير " هو كلام الفرد أو المنطوقات الفعلية " ، أما اللسان " فهو المواضعات والإشارات التي يشترك فيها جميع أفراد مجتمع لغوي معين، وتتيح لهم من ثمة الاتصال اللغوي فيما بينهم "[6] . وفي الحقيقة كان لهذا التمييز دور، فقد استطاع البنيويون تمييز البنية للغة المشتركة بين أفراد المجتمع واكتشفوها ووصفوها وقاموا بنسج الدراسات عليها وهذا ما يسميه سوسير اللسان[7]. وقد حدد البنيويون اللسان بأنه نظام من العناصر المترابطة تشترك في بنائه الاصوات والمفردات والتراكيب وبذلك أصبحت دراسة اللغة تعتمد على الشكل لا المادة بشكل وصفي. وقد ظهر في هذه المدرسة عدة أعلام من أبرزهم سابير الذي رأى أن " الوحدات الأساسية كالاسم والفعل، والعمليات النحوية الأساسية كترتيب الكلمات هي أمور قائمة في جميع اللغات المشتركة التي يحتمل أن تكون لها عناصر كلية مشتركة ".[8] ومن هنا نلاحظ

[4] مدخل إلى علم اللغة، ص138
[5] المدخل إلى علم اللغة، ص181
[6] المدخل إلى اللسانيات، ص62
[7] المدخل إلى علم اللغة، ص184
[8] المدخل إلى علم اللغة، ص185

أن سابير جعل المنهج الوصفي البنيوي أداة لدراسة اللغات التي تجمعها روابط مشتركة. ومن الأعلام أيضاً بلومفيد الذي لم يخرج عن الحقائق الأساسية لهذا المنهج، فقد رأى أن عالم اللغة يجب أن يبحث الألفاظ اللغوية بغض النظر عن معانيها، وهذه النقطة كانت سلبية بعض الشيء، لأن الدراسات اللغوية إذا لم تحمل المعنى فإنها ستبقى دراسات صماء لا حياة فيها.

- المدرسة التوليدية التحويلية:

ظهور هذه المدرسة هو درجة متقدمة من دراسات الوصفيين التقليديين. وقد نشأت على يد عالمين لغويين هما هاريس ونعوم تشومسكي، فقد تقاربت أفكار هذين العالمين، فالمقاربة التحويلية ذهبت إلى دراسة العلاقات التي توحّد عناصر الجملة الواحدة وما يمكن أن يوجد فيما بعد من جمل جديدة ومحتملة، وأما المقاربة التوليدية فإنها تنظر إلى ما يمكن إنتاجه من جمل جديدة، فبمجرد وجود الألفاظ يعطي الحق للغة أن تنتج عدداً لا ينتهي من الجمل ويكون عمل هذه المقاربة بوصف وكشف العلاقات التي تنظم خيوط هذه الجمل وبالتالي سينتج عندنا سلاسل لفظية متعددة يمكن أن تكون مفيدة ومطابقة لأحوال المتكلم واللغة المستخدمة ويمكن ألا تكون مفيدة وهي مجرد تركيبات لفظية محتملة لا وجود لها في الواقع الكلامي المستخدم،[9] وقد دخلت فلسفات هاتين المقاربتين في متاهات كثيرة إلا أنهما فتحتا الطريق أمام الباحثين ليتخلصوا من قواعد المنهج الوصفي لينطلقوا إلى شيء من التحليل والاستنتاج، فتشومسكي قد وجه نقداً عنيفاً للنحو الوصفي وأعطى لدراسات النحو وجهاً جديداً،[10] فتشومسكي لم ينكر على المنهج البنيوي قدراته على تحليل الجملة وردها إلى مورفيمات وفونيمات ، لكنه رأى أن هذه القدرة ضئيلة الجدوى " لأن في كل لغة عدداً محدوداً من الفونيمات والمورفيمات غير أن عدد الجمل في أية لغة واقعية هو عدد غير منتهٍ، إذ ليس هناك حد لعدد الجمل الجديدة التي يمكن إنشاؤها، ولا تستطيع البنيوية تفسير ذلك".[11] وعلى الرغم من انتقاد تشومسكي لبعض أفكار الوصفيين التقليدين إلا أن اتجاهه لاقى فيما بعد انتقاداً في بعض المسائل اللغوية.

- مدرسة التركيب:

صاحب هذه المدرسة كنيث بايك، فكر هذه المدرسة يتجه اتجاهاً تحليلياً، لكنه أقل تعقيداً من أفكار بلومفيد البنيوية، فالتحليل هنا هو " طائفة من الإجراءات لوصف اللغة، يعتمد على وحدة أساسية تسمى التركيب أو القالب وترد هذه الوحدة ضمن مركب على هيئة سلسلة وتقع ضمن مستويات معينة من المستويات النحوية "[12]. والفرق بين فكر بايك وفكر بلومفيد هو أن الأخير يقوم بتحليل الجملة تحليلاً متشظياً، حيث يرجع المركب إلى البسيط والبسيط إلى الأقل بساطة وتتحول الكلمات إلى عناصر صوتية هي المورفيمات والفونيمات، أما فكر بايك فإنه يُبقي على

---

[9] الألسنية، ص127
[10] تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، ص55
[11] مبادىء اللسانيات، ص 257
[12] علم اللغة ، ص191

عناصر الجملة التقليدية دون تفكيكها وتجزئتها. وقد أدخل بايك آراء جديدة في المنهج الوصفي وهو الارتباط بين الموقع الوظيفي وفئة من المركبات التي تتكون من شكل ووظيفة وبذلك يمكن أن تنتقل المواقع الوظيفية في السلسلة الكلامية، ففي قولنا " زار المينة سائح " ثلاثة مواقع وظيفية يمكن أن تنتقل على ثلاثة صور هي: " زار سائح المدينة "، " زار المدينة سائح "، " المدينة زارها سائح " وكما نرى أن التغيير وقع على المكان ولكنه حافظ على الوظيفة النحوية. في الحقيقة كان لهذه النظرية أثر في تطوير المنهج الوصفي حيث أعطته نفساً تحليلياً جديداً.

- مدرسة التقابل والمقارنة:

هذه المدرسة اعتنت بعملية المقارنة بين اللغة الواحدة واللغات المتعددة، فاللغة تمر بظواهر وطفرات عديدة فيقوم هذا المنهج بتعقب هذه الظواهر والكشف عن أسبابها ويقوم بتحليلها وإيجاد العناصر المكونة لهذه الظاهرة ثم يحاول التوفيق بين هذه العناصر وتطبيقها على ظواهر أخرى في نفس اللغة ملاحظاً الأسباب الجديدة في ذلك، وبعد التجريب على كثير من الظواهر والاسباب التي تقف وراء هذه الظواهر يقوم هذا المنهج بوضع القوانين التي تحكم هذه الظواهر اللغوية. ولا يكتفي هذا المنهج بالوقوف على لغة واحدة، لكنه يمتد إلى اللغات الأخرى ويعرض القواسم المشتركة بين هذه اللغات وربما تكون أفضل مقارناته في اللغات من نفس الأسرة اللغوية كاللغة العربية والفارسية و العبرية واللغات اللاتينية كالإيطالية والفرنسية وغيرها من هذه اللغات، لكن بدأت في الآونة الأخيرة بعض الآراء التي نظرتْ إلى اللغات من الأسر المختلفة على أنه يمكن أن نجد بعض القواسم المشتركة وبذلك يمكن أن نجد من خلال مقارنة اللغات من الأسر المختلفة القواسم الإنسانية لتشكُّل اللغات

الخاتمة :

لابد لي إلا أن أقف حول بعض النتائج المهمة التي توصل إليها البحث ومنها:

- تعددت مناهج دراسة اللغة وأخذ كل منهج حظه في تقويم عملية اكتساب الإنسان للغة بكل مكوناتها، لكن يظل لكل منهج أسلوبه وخواصه ومميزاته.

- المنهج الوصفي لم يكن بدعة في دراسة اللغة وإنما كان كغيره يجمع الأفكار ويقيمها بحسب المنظور المنطقي أحياناً وبحسب المنظور التجريبي أحياناً آخر.
- أغلب علماء المناهج اللغوية كان لهم ارتباط بشكل أو بآخر مع المنهج الوصفي، فبعض العلماء بدأ وصفياً لكنه مال إلى منهج آخر، وهذا لا يعني أن خرج على المنهج الوصفي، لا وإنما حاول بعضهم تطوير نفسه بالأخذ من المناهج الأخرى.
- في الحقيقة كان للمنهج الوصفي فوائد كثيرة في دراسة علم اللغة وقد مرت معنا خلال البحث، لكن أريد أن أذكر فائدة جانبية وهي أن المنهج الوصفي فتح الطريق للدراسات الأخرى أن تأخذ حظها من علم اللغة.
- لم يكن المنهج الوصفي يسير دائماً في خط واحد وإنما حاول بعض مفكريه أن يخرج عن بعض قواعده التي أصبحت فيما بعد من قواعد هذا المنهج.

المصادر والمراجع:

الألسنية، ميشال زكريا، دار الكتاب، بيروت، 1980

تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، صبري إبراهيم السيد، دار الكتب، دمشق، 1992.

دراسات علم اللغة الوصفي والتاريخي، صلاح الدين صالح، دار العلوم للطباعة والنشر، 1984.

الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984.

علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الكتاب، 1994.

علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي،القاهرة، 1417.

مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، دار الكتاب، بيروت، 1998.

المدخل إلى السانيات، يوسف غازي، دار الرسالة، بيروت، 1991.

مبادئ اللسانيات، أحمد قدور، دار ابن حزم فرع حلب، 1992.